نظرات في التفسير البياني
لسورة الشرح

د. زينب خليل إبراهيم
كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، حمداً يليق بجلالهِ وفضلهِ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف خلقه، وعلى آله وصحبه.

أما بعد؛ فلا شكّ في أنّ علم التفسير هو من أهمّ العلوم؛ لأنه يختص بكتاب الله تعالى، وكتاب الله هو دستور الامة وميدان تشريعاتها وأحكامها التي تنظم حياتها في كل جزئياتها عن طريق بيان معاني كلمات القرآن، وتوضيح أحكامه المرادة، فضلا عن عرض نظمه وقوة بلاغته وروعة تراكيبه وجمال اسلوبه.

والتفسير انواع كما يعرف الدارسون، ومن هذه الانواع (التفسير البياني) الذي يهتم بلفظ القرآن الكريم، وسأتحدث عنه في محله في هذا البحث، وهذا البحث هو محاولة للخوض في غمار هذا التفسير التمست فيه شيئاً مما أصبو اليه منه، وعرفته في دراستي هذه؛ أملةً أن أكون قد وفقتُ في عرضه.

وقد سميت هذا البحث (**نظرات في التفسير البياني لسورة الشرح**).

وقد اقتضت طبيعة العمل في هذا البحث أن أقسمه على مقدمة، ومبحثين، تكلمت المقدمة ببيان الهدف من هذا البحث وعرض منهج الدراسة.

وخصصت المبحث الاول: لدراسة السورة من حيث التسمية وعدد آياتها ومكان نزولها، ومناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

وأفردت المبحث الثاني: لتفسير آيات السورة تفسيراً بيانياً

هذا وادعو الله عز وجل أن يجعل عملي هذا في خدمة كتابه العزيز، واعلاء شأن سنة

نبيه المطهرة قربة اتقرب بها اليه وان ينزله عنده منزلة القبول، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وإنه لنعم المولى ونعم النصير.

المبحث الاول

دراسة السورة

- **تسمية السورة**

في تسمية السورة خلاف، فأغلب كتب التفسير سمَّتها سورة (الشرح)[1]، وقسم من التفاسير سمتها بـ (سورة ألم نشرح) [2]، وبعض التفاسير سمتها بـ(بسورة الانشراح) [3] وإن كانت معاني التسمية واحدة لكن النفس ميالة الى التسمية الاولى وهي سورة الشرح؛ لأن اكثر المفسرين ذكروا ذلك.

- **عدد آياتها**

أجمعت كتب التفسير على أن عدد آيات السورة ، هو ثماني آيات. [4]

(١) ينظر: جامع البيان- للطبري ١٢/ ٦٢٦ ، بحر العلوم- للسمرقندي ٣/ ٥٦٩، الكشف والبيان - للثعلبي ١٠/ ٢٣٢، التفسير البسيط - للواحدي ٢٤/ ١١٩، معالم التنزيل - للبغوي ٥/ ٢٧٤، الكشاف - للزمخشري ٤/ ٧٥٩، المحرر الوجيز - لابن عطية ٨/ ٦٤٣، زاد المسير- لابن الجوزي ٤/ ٤٦٠، ونظم الدرر- للبقاعي ٨/ ٤٦٠.

(٢) ينظر: إعراب القرآن - للنحاس ص ٢٠٨١، الجامع لاحكام القرآن- للقرطبي ٢٢/ ٣٥٤ ، أنوار التنزيل - للبيضاوي ٥/ ٣٢١، اللباب في علوم الكتاب - لابن عادل ٢٠/ ٣٩٦، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٢٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط- لأبي حيان ٨/ ٤٨٣.

(٤) ينظر: بحر العلوم- للسمرقندي ٣/ ٥٦٩، معالم التنزيل - للبغوي ٥/ ٢٧٤، الكشاف - للزمخشري ٤/ ٧٥٩، الجامع لاحكام القرآن- للقرطبي ٢٢/ ٣٥٤، البحر المحيط - لابي حيان ٨/ ٤٨٣، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٢٩.

- **مكان النزول**

ذكر اكثر المفسرين أن سورة الشرح نزلت بمكة[١] وذكر بعض المفسرين أنها مكية بإجماعٍ من المفسرين.[٢]

وَرُوي عن ابن الزبير وعائشة (رضي الله عنهما) أنها مكية ، أخرج ذلك ابن الضريس ، والنحاس[٣]،والبيهقي[٤]، وابن مردويه عن ابن عباس[٥] قال : «نزلت سورة (الم نشرح) بمكة وزاد بعضهم بعدَ الضحى» ، وأخرج عن السيدة عائشة (رضي الله عنها)، قالت: نزلت سورة الم نشرح بمكة[٦].

وذكرت بعض التفاسير انها مدنية[٧] ، وذكر القاسمي ان الاقوى عنده كونها مدنية، فقال: (مكية وقيل: مدنية، وهو الاقوى عندي. فإن استقرار هذه النعم المعدومة فيها؛ انما كان بالمدينة المنورة كما لا يخفى)[٨] .

---

(١) ينظر: بحر العلوم- للسمرقندي ٣/ ٥٦٩، الكشف والبيان- للثعلبي ١٠/ ٢٣٢، والبحر المحيط- لأبي حيان ٨/ ٤٨٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز- لإبن عطية ٨/ ٦٤٣، الجامع لاحكام القرآن- للقرطبي ٢٢/ ٣٥٤، وفتح القدير - للشوكاني ٥/ ٤٦٠.

(٣) الناسخ والمنسوخ- للنحاس ٣/ ١٣٢.

(٤) ينظر: دلائل النبوة- للبيهقي ٧/ ١٤٤.

(٥) ينظر: الدر المنثور- للسيوطي ٦/ ٣٦٣، فتح القدير- للشوكاني ٥/ ٤٦٠، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٢٩.

(٦) ينظر: الدر المنثور- للسيوطي ١٥/ ٤٩٥، فتح القدير- للشوكاني ٥/ ٤٦٠، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٢٩.

(٧) ينظر: نظم الدرر - للبقاعي ٨/ ٤٦٠.

(٨) محاسن التأويل- للقاسمي ٩/ ٤٩٤.

وذكر السيوطي ان هذه السورة: « نزلت لما عيَّر المشركون المسلمين بالفقر»[١] ، وقال ابن جرير الطبري:» إن هذه الآية لما نزلت بَشر بها اصحابه وقال: لن يغلب عسرٌ يسراً ذكر الطبري بذلك قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت يونس قال: قال الحسن: لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [٢] قال الرسول ﷺ : ((ابشروا اتاكم اليُسرُ لن يغلب عسرٌ يسرين))[٣].

وأميل الى الرأي الذي قال به أكثر المفسرين أنها نزلت بمكة وذلك لأن مقاصد السور المكية نفسها من تثبيت العقيدة وزرع الثقة في نفوس المسلمين والتسلح بآداب الاسلام.

- **مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها**

قبل أن أبدأ بالكلام على هذه المسألة أود أن أشير بإيجاز الى مفهوم المناسبة في اللغة والاصطلاح وأهمية الوقوف عليها عند دراسة سورة من سور القرآن الكريم لارتباط كلَّ سورة بما قبلها وما بعدها.

المناسبة في اللغة: المناسبة: المشاكلة، يقال: ليس بينهما مناسبة أي: مشاكلة[٤] ، وقال الزركشي: «والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً، أي: يقرب منه ويشاكلهُ، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم»[٥] .

اما في الاصطلاح: فقد عُرِّفت بعدة تعريفات منها، انها: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متَّسقة المعاني منتظمة المباني»[٦] .

---

(١) ينظر: لباب النقول في اسباب النزول- للسيوطي ص٢١٣.

(٢) الشرح آية ٦.

(٣) ينظر: جامع البيان- للطبري ١٢/ ٦٢٧-٦٢٨.

(٤) ينظر: تاج العروس- للزبيدي مادة (شكل) ٤/ ٢٦٥، ولسان العرب- لإبن منظور مادة (شكل) ٦/ ١٧٥.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن- للزركشي ١/ ٤١.

(٦) المصدر السابق نفسه.

وعرفها السيوطي بقوله: «المناسبة في اللغة: المشاركة والمقاربة»[1] ، وجاء في البرهان في علوم القرآن: «المناسبةُ: أمرٌ معقول، إذا عُرض على العقول تلقته بالقبول»[2].

ويتضح مما مرّ ان هناك علاقةً رصينة وترابطاً كبيراً بين أمرين، أي أن الآية لها ارتباط وثيق بالآية التي قبلها وبالآية التي بعدها، وكذلك يتحقق هذا الترابط بين السورة وما قبلها وما بعدها فضلا عن الصلة الوثيقة والترابط الكبير بين كلمات السورة الواحدة، فالعلاقة وثيقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي لكلمة(المناسبة) فهي تدل على التقارب والتشابه.

- **أهمية علم المناسبة**

لا يخفى أنّ ما للتناسب بين كلمات السور وآياتها والسورة وما قبلها وما بعدها من أهمية كبيرة تتجلى في جعل أجزاء الكلام بعضها اخذاً بأعناق بعضها الآخر فيقوى بذلك الارتباط والتناسب، فيصير التأليف كالبناء المحكم المتلازم الاجزاء[3] .

ومن أهم أهداف التناسب في القرآن الكريم هو التعرف على وجه الإعجاز في آياته، وإدراك سبب اختيار مفردات وصيغ معينة وايثارها على غيرها، وأنه يساعد على دقة الفهم، وإدراك اتساق المعنى بين الآيات والسور فضلاً عن مساعدته على ادراك مقاصد القرآن الكريم وتذوق نظمهِ، وفيه إعانة على حفظ كتاب الله تعالى وتدبره حق تدبير[4]، وسورة الشرح لها مناسبةٌ وثيقة مع سورة الضحى التي قبلها؛ لأن كلتا السورتين نزلتا في رسول الله ﷺ وخطاب له.

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي ٢/ ٢٣٥.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن- للزركشي ١/ ٣٥.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي ٢/ ٢٣٥.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن- للزركشي ١/ ٤١، والإعجاز البياني في ثنائيات القرآن الكريم في ضوء علم المناسبة - لمسلم شاكر جبر ص ٥٠.

وفي سورة الشرح استكمال للنعم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة الضحى ففي سورة الشرح استكمال لما ذكره في سورة الضحى من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر[١].

ومن أجل التناسب الوثيق بين الشرح والضحى روي عن بعض المتقدمين قولهم: سورة الشرح والضحى بمنزلة واحدة [٢]، ومن شدة الاتصال بينهما روي عن طاووس وعمر بن عبد العزيز(رضي الله عنه): «انهما كانا يقولان: هما سورة واحدة، وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» ، والذي دعاهما الى ذلك هو آية قوله تعالى: (الم نشرح لك صدرك) كالعطف على قوله (الم يجدك يتيما) [٣] .

ويرى الرازي أن السورتين ليسا سورة واحدة، لأن نزول السورة الاولى كان النبي ﷺ في حالة اغتمام من إيذاء الكفار له، فكانت حال محنة وضيق صدر،وأما الثانية فيقتضي ان يكون حال النزول مُنشرح الصدر، طيِّبَ القلب، فأنى يجتمعان[٤].

وقال الآلوسي: «والحقُّ أنّ مدارَ مثل ذلك الرواية لا الدراية، والمتواتر كونهما سورتين، والفصلُ بينهما بالبسملة، نعم هم متصلان معنىً جداً» [٥] .

ونختم هذا الكلام على تناسب سورة الشرح وسورة الضحى بقول سيد قطب: «نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى، وكأنها تكملة لها. فيها ظل العطف الندّي، وفيها روح المناجآة الحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية واستعراض مواقع الرعاية، ومنها

(١) ينظر: التناسب بين السور- د. فاضل السامرائي ص ١٨٠
(٢) ينظر: بحر العلوم- للسمرقندي ٣/ ٥٦٩.
(٣) ينظر: التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٢ ، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٢٩.
(٤) ينظر: التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٢.
(٥) ينظر: روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٠.

البشرى باليُسْرِ والفرج، وفيها التوجيه الى سرِّ اليسر وحبل الاتصال الوثيق» [1].

اما مناسبة سورة الشرح مع السورة التي تليها وهي سورة التين فقد وضحها ابو حيان: «ولما ذكر فيما قبلها من كمله الله خَلقاً و خُلقاً وفضله عن سائر العالم ذكر هنا حالة من يعاديه وأنه يرده اسفل سافلين في الدنيا والآخرة»[2].

وقال البقاعي:» لما ذكر سبحانه وتعالى في تلك السورة اكمل خلقه وما كمله به وفتحها بالأمر بتخصيصه سبحانه وتعالى بالرغبة إليه فكان ﷺ يقوم حتى تورَّمت قدماه ويبذل الجهد لمولاه في كل مما يرضاه، ذكر في هذه انه سبحانه وتعالى كما جعل ذاته أكمل ذوات المخلوقات، خَصَّه بأن جعل نوعه ﷺ أكمل الانواع وهو الانسان وأصلهُ أعظم الاصول ابراهيم ﷺ وبلده أفضل البلاد وهي مكة، وأنَّ من عاداه بمنابذة شرعه كان اسفل الخلق»[3].

وقال الالوسي في التناسب بينهما: «ولما ذكر سبحانه في السورة السابقة حال أكمل النوع الانساني بالاتفاق؛ بل أكمل خلق الله عز وجل على الاطلاق ﷺ ، ذكر عز وجل في هذه السورة حال النوع وما ينتهي اليه أمره، وما أعد سبحانه لمن آمن منه بذلك الفرد الأكمل»[4].

- **عنوان البحث والهدف منه**

لا ريب في أن كل كتابٍ او بحثٍ يؤلف لابد ان يكون للمؤلف هدفٌ يسعى الى تحقيقه في كتابه او بحثه ومن هنا رأيتُ ان أقف لأُبين الهدف من دراستي هذه فأقول:

(١) ينظر: في ظلال القرآن- لسيد قطب ٦/ ٣٩٢.
(٢) ينظر: البحر المحيط- لابي حيان ٦/ ٣٩٢.
(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- للبقاعي ٨/ ٤٦٨.
(٤) ينظر: روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٤٨.

١- النظرات: «جمع نظرةٍ ، ونظرتُ في الأمر: تدبرتهُ[١] ونظر فيه: تَفكّر»[٢] ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣] ، وجاء في لسان العرب: «نظرت في الأمر، احتمل أن يكون تفكُّراً فيه وتدبراً بالقلب»[٤] ، ومن هنا يمكن لي في دراسة سورة الشرح دراسة بيانية أن أقف للتّدبر والتفكر في الفاظ السورة ونظمها وتراكبها على شيئ من اسرار التفسير البياني لهذه السورة.

التفسير البياني: هو التفسير الذي يبين أسرار التراكيب في التعبير القرآني[٥]، ولا ريب في ان التفسير البياني هو جزءٌ من التفسير العام، لكن التفسير البياني:» تنصب فيه العناية على بيان اسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، وأختيار لفظة على أخرى، وما الى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير»[٦]. وهذا ما أهدف اليه في بحثي وأسعى الى تحقيقه ان شاء الله تعالى.

(١) ينظر: المصباح المنير- للفيومي مادة (نظر) ٢/ ٦١٢.
(٢) ينظر: الكليات- للكفوي ص ٩٠٥.
(٣) الاعراف آية ٨٥.
(٤) ينظر: لسان العرب- لابن منظور مادة (نظر) ٦/ ٢١١.
(٥) ينظر: على طريق التفسير البياني- د. فاضل صالح السامرائي ١/ ٦.
(٦) المصدر السابق نفسه.

المبحث الثاني

تفسير آيات السورة

- ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

ابتدأت هذه السورة المباركة بكمية صوتية عالية تمثلت بالاستفهام التقريري او الإنكاري المتكون من دخول همزة الاستفهام على (لم) الجازمة (ألم) ، والاستفهام التقريري هو محل المخاطب على الإقرار بحصول المستفهم عنهُ وتوكيد حصوله.

قال الزمخشري: «استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد اثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل (شرحنا لك صدرك) وكذلك عطف عليه (وضعنا)[1]، لأن «التعبير عن ثبوت الشرح، بالاستفهام الإنكاري للإيذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد ان يجيب عنه بغير بلى» [2] ، وللعلماء والمفسرين أقوال في معنى الشرح:

قال الفراء: (الم نشرح لك صدرك) أي: ألم نلين لك قلبك[3] ، وقال الحسين بن واقد معناه: الم نوسع لك صدرك. وقال النحاس: «وهذا قولٌ بينٌ، ومنه يقال فلان ضيق الصدر، وصدره واسع»[4] .

وقال الزجاج: أي شرحناه للإسلام [5] .

(١) الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٥٩ ، وينظر: التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٣ ، البحر المحيط- لابي حيان ٨/ ٤٨٣، الدر المصون- للسمين الحلبي ٦/ ٥٤٠.

(٢) روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٥.

(٣) معاني القرأن- للفراء ٣/ ٢٩٥.

(٤) اعراب القرأن- للنحاس ص ١٠٨.

(٥) معاني القرأن واعرابه- للزجاج ٥/ ٢٦٠.

وقال الثعلبي: معناه، ألم نفتح، ونوسع، ونليّن لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة[1].

وقال الزمخشري: «ومعنى شرحنا صدرك: فسحناه حتى وَسِعَ عموم النبّوة ودعوة الثقلين جميعاً، أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم: أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل»[2].

وقيل ان معناه: الم نُزِلْ همَّك وغمَّك باطلاعك على حقائق الامور، وحقارة الدنيا، فهان عليك احتمال المكاره فالدعاء الى الله تعالى[3].

ونقل عن الجمهور ان شرح الصدر المذكور هو تنويره للحكمة، وتوسيعة لتلقي ما يوحى إليه بعدما كان يشق عليه ذلك[4].

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ان المراد بالشرح هنا شق صدر الرسول في صغره إذ أتاه جبريل (عليه السلام) وأخرج قلبه، وغسله وانقاه من المعاصي ثم ملأه علماً، وإيماناً ووضعه في صدره، وكذلك في وقت الإسراء»[5].

ويتضح من الأقوال المذكورة أنفاً ان الشرحَ على قسمين، وهما:

١- الشرح المعنوي المتمثل بـ (التليين، والتوسعة من الضيف، والانشراح للإسلام، والفتح للإيمان، والنبوة والعلم).

٢- الشرح الحسِّي الذي نقل عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وغيره.

(١) الكشف والبيان- للثعلبي ١٠/ ٢٣٢.
(٢) الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٥٩.
(٣) روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣١.
(٤) ينظر: المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٣، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣١.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٣، والتفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٣، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣١.

- لماذا استعمل لفظ (نشرح) ولم يستعمل لفظ (نفتح او نفلق)؟

مما يلفت النظر ان التعبير القرآني استعمل هنا (نشرح) ولم يستعمل غيره من الالفاظ التي ذكرها المفسرون، ولو عدنا الى كتب اللغة لنقف على معنى الشرح لوجدنا ان: الشرح والتشريح: قطع اللحم عن العضو قطعاً، وقيل قطع اللحم عن العظم قطعاً[1] .

ومن معاني الشرح: الكشف والتبيين والتوضيح والفتح ، يقال (شرح فلان امره) أي: اوضحه، وشرح مسألة مشكلة، أي: بيّنها، وشرح الشيء يشرحه شرحاً وشرّحهُ: فتحهُ، وبيّنه وكشفه، وكل ما فتح من الجواهر فقد شُرح ايضاً، نقول: شرحت الغامض، اذا فسرته[2].

اما الفتح: فهو نقيض الاغلاق، يقال: فتحه يفتحه فتحاً، اذا ازال اغلاقه[3]، وبابٌ مفتوح خلاف المردود والمقفل[4] وجاء في المفردات: «الفتح إزالة الاغلاق والإشكال وذلك ضربان»:

(حسي) احدهما: يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وفتح القفل والفلق والمتاع نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ ﴾[5] ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[6] .

والثاني: يُدرك بالبصيرة(العقل) كفتح الهم وهو ازالة الغم[7] ، واما(الفَلقُ) فهو: الشقُّ، يقال: فلقه يَفلِقُهُ فَلقاً اذا شقهُ، وأبان بعضه عن بعض[8]،

(١) ينظر: المفردات- للأصفهاني ص ٢٦٧، ولسان العرب- لابن منظور مادة (شرح) ٣/ ٤١٦.
(٢) ينظر: لسان العرب- لابن منظور مادة (شرح) ٣/ ٤١٦.
(٣) ينظر: لسان العرب- لابن منظور مادة (فتح) ٥/ ٨٥.
(٤) ينظر: المصباح المنير- للفيومي٢/ ٤٦١.
(٥) يوسف آية ٦٥ .
(٦) الحجر آية ١٤.
(٧) ينظر: المفردات- للأصفهاني ص ٣٥٨.
(٨) ينظر: المصباح المنير- للفيومي مادة (فلق) ٢/ ٤٨١، المفردات- للأصفهاني ص ٤٠١، ولسان

ويقال: فلق الله الفجر، ابداه وأوضحه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾[2].

ومن هنا يتبين لنا دقة استعمال الفعل (نشرح) هنا في هذه السورة المباركة، لأنه يعبر عن المعنى المطلوب اكثر من غيره وفيه سعة تجعلنا نرجح ان المراد به هنا المعاني المذكورة كلها سواء كانت حسية او معنوية والله اعلم.

لماذا استعمل لفظ (نشرح) بنون العظمة ولم يستعمل (اشرح)؟

ومن الامور البيانية التي تلفت النظر ان التعبير القرآني استعمل (نشرح) بنون العظمة ولم يستعمل (اشرح)، إنَّ استعمال نون العظمة واسناد الفعل اليه هو للإفصاح عن عظمة الرسول ﷺ وللدلالة على عظمة المنعم سبحانه وتعالى والتي تدل على عظمة نعمه، وقد فصّل الرازي في اسناد الفعل الى النون وبين ان النون تحتمل ان تكون نون العظمة وتحتمل ان تكون نون الجمع وبين معنى الاسنادين فقال:» لِمَ قال (الم نشرح) ولم يقل (الم أشرح) ؟

والجواب: «إنْ حملناه على نون التعظيم، فالمعنى ان عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، فدلَّ ذلك على ان ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول الى كنه جلالتها، وإنْ حملناه على نون الجميع، فالمعنى كأنه تعالى، يقول: لم أشرحه وحدي، بل اعلمت فيه ملائكتي، فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك، فأديت الرسالة وأنت قوي القلب ولحقتهم هيبة، فلم يجيبوا لك جواباً، فلو كنت ضيق القلب لضحكوا منك، فسبحان من جعل قوة قلبك جبناً فيهم، وانشراح صدرك ضيقاً فيهم»[3].

العرب- لابن منظور مادة (فلق) ٥/ ١٥٧.

(١) الانعام آية ٩٦.

(٢) الانعام آية ٩٥.

(٣) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٥.

اما نشرح فقد قرأها الجمهور بجزم الحاء (نشرحْ) وقرأ ابو جعفر المنصور(شرحَ) بفتح الحاء[1] وقد خُرجت هذه القراءة بأكثر من وجه:

١- خرجها ابن عطية وجماعة على ان الاصل (نشرحن) بنون التوكيد الخفيفة ، فأبدل من النون الفاً ثم حذف الألف تخفيفاً[2]، كما أنشد ابو زيد:

مِــنْ أيّ يــومــيَّ مــن المــوت أفــرْ أيــوْمَ لمْ يُــقْــدِرَ أم يــوم قــدُرْ[3]

فجاءت (يقدر) مفتوحة بعد (لم) على ان اصلها (يقدرن) بنون التوكيد الخفيفة، وأُبدلت الفاً ثم حذفت الالف تخفيفاً.

٢- وقال جماعة: لعله بَيَّن الحاءَ وأشبعها في مخرجها، فظن السامع انه فتحها[4]

٣- وذكر ابو حيان أنّ الفتح على لغة بعض العرب من النصب بـ (لم) والجزم بـ لن عكس المعروف عند الناس[5].

وخرجها بعضهم على ان الفتحة لمجاورة ما بعدها أي: لمجاورة حركة اللام وهو ما يسمى بالتأثر الحركي، وهي كالكسر في قراءة: (الحمدِ لله) بالجر[6].

- مجيء الجار والمجرور (لك) بين الفعل والمفعول

يلاحظ ان التعبير القرآني قد استعمل الجار والمجرور(لك) ووسَّطه بين الفعل

(١) ينظر: المحتسب- لابن جني ٢/ ٣٦٦ ، المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٣، الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٥٩، البحر المحيط- لابي حيان ٨/ ٤٨٣، والدر المصون- للسمين الحلبي٦/ ٥٤٠.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٣، والدر المصون- للسمين الحلبي٦/ ٥٤٠، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٦.

(٣) البيت للحارث ابن منذر. ينظر: المحتسب- لابن جني ٢/ ٣٦٦، البحر المحيط- لابي حيان ٨/ ٤٨٧.

(٤) ينظر: الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٥٩ ، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط- لابي حيان ٨/ ٤٨٣، الدر المصون- للسمين الحلبي٦/ ٥٤٠، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٦

(٦) ينظر: روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٧ .

(نشرح) والمفعول به (صدرك) وما كان ذلك الا لمعنى اقتضاه السياق ودقة التعبير.

وقد وصف بعض المفسرين مجيء (لك) في هذه الآية بأنها زائدة، والمعنى يرفض القول بالزيادة، لأن مفهوم الزيادة هو دخول الشيء وخروجه سيان والذي دفعهم الى ذلك هو أن الجار والمجرور ليس له محل من الاعراب، ولا يمكن الرضى بالقول بالزيادة في القرآن الكريم، وإنما جيء بالجار والمجرور(لك) لتأدية معنىً لا يتم الا به، فكل كلمةٍ جيء بها لمعنىً مقصود.

قال الاستاذ المرحوم مصطفى صادق الرافعي: «فإن اعتبار الزيادة وإقرارها بمعناه، إنما هو نقص يجلُ القرآن عنه، وليس يقول بذلك إلاّ رجل يعتسق الكلام ويقضي فيه بغير علمه، أو بعلم غيره، فما في القرآن حرفٌ الا معه رأيٌ يسنح في البلاغة، من جهة نظمه ودلالته، او وجه اختياره، بحيث يستحيل البتة ان يكون فيه موضع قلق، او حرف نافر، او جهة غير محكمة، او شيء ممّا تنفذ في نقده الصنعة الانسانية من أي ابواب الكلام ان وسعها من باب»[1].

ويقول المرحوم الاستاذ فضل حسن احمد عباس عن الزيادة التي ذكرها النحاة:» إن ما سمّوه زائداً او صلة، عندما نمعن النظر فيه، فأننا لا نتردد أيّ تردد، ولا نرتاب أدنى ريب بأنَّ هذا الذي سمّوه زائدا، لم يكن للتأكد فحسب، ولم يكن يتحمل به الايقاع فقط، وليس ظاهرة اسلوبية - كما قيل- انما هو بعد ذلك كله امر اقتضاه المعنى، وحتمته الحكمة البيانية والحكمة العقلية كذلك، فلو ذهب من الكلام لذهب جزءٌ جوهري من المعنى»[2].

ويتضح لنا مجيء (لك) في قوله تعالى: (الم نشرح لك صدرك) له من جمال الايقاع وروعة النظم ما لا يتحقق حسن النظم ورونق اللفظ إلا بقوله (لك) فلو حذفت وقال:

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي ص ٢٣١.

(٢) لمسات ولطائف من الاعجاز البياني- د. فضل حسن احمد عباس ص ٤١٩.

(ألم نشرح صدرك) لَما يتحقق ذلك كلُّه، وإنما جيء بالجار والمجرور للإيذان من أول وهلةٍ بأن شرح صدره من منافعه ﷺ ومصالحه فضلاً عن مسارعةٍ الى إدخال المسرة في قلبه الشريف ﷺ وتشويقاً له عليه الصلاة والسلام الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت ورودهِ فضال تمكن[1] .

ولا يخفى ان المجيء بالجار والمجرور(لك) يفيد الحصر وفي ذلك إيناسٌ له ﷺ ، وجاء في تفسير الرازي:» لم قال(الم نشرح لك صدرك) ولم يقل (الم نشرح صدرك)؟

والجواب من وجهين، أحدهما: كأنه تعالى يقول لامٌ بلام، فأنت انما تفعل جميع الطاعات لأجلي كما قال: ﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [2]،﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [3] فأنا ايضاً جميع ما أفعله لأجلك، وثانيها: أن فيها تنبيهاً على ان منافع الرسالة عائدة اليه عليه السلام كأنه تعالى قال انما شرحنا صدرك لاجلك لا لأجلي»[4] .

- تخصيص الشرح بالصدر

ان التعبير القرآني خصَّ (الصدر) في الشرح ولم يقل مثلاً : (الم نفتح لك قلبك)، وذلك لأن الصدر كما يقول العلماء- محلُّ القرآن والعلم- واستدلوا في ذلك بقول الله عزَّ وجل: ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ [5] كما إنه محل الوسوسة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[6] وهو حصنُ القلب الذي هو محل العقل والمعرفة.

جاء في التفسير الكبير للرازي: « لِمَ ذكر الصدر ولم يذكر القلب؟

(١) ينظر: روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٦ .
(٢) الذاريات آية ٥٦.
(٣) طه آية ١٤.
(٤) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٤، وينظر: السراج المنير- للفيومي ٤/ ٥٥٥.
(٥) العنكبوت آية ٤٩.
(٦) الناس آية ٥.

والجواب: لأن محل الوسوسة هو الصدر على ما قال:(يوسوس في صدور الناس) فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، فلا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب.

وقال محمد بن علي الترمذي: «القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصده الشيطان، فالشيطان يجيء الى الصدر الذي هو حصن القلب، فاذا وجد مسلكا أغار فيه ونزل جنده فيه، وبث فيه من الهموم والغموم والحرص، فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة، ولا للإسلام حلاوة، واذا طُردَ العدو في الابتداء منعَ وحصل الأمن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام بإداء العبودية».[1]

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾

الواو حرف عطف، وهي لمطلق الجمع عند جمهور النحاة[2]، والمقصود بذلك انّنا اذا قلنا: جاء محمدٌ و خالدٌ احتمل ثلاثة أوجه، وهي:

الاول: ان يكون محمدٌ جاء قبل خالد.

الثاني: ان يكون خالد جاء قبل محمد.

الثالث: ان يكونا جاءا معاً وفي وقت واحد.

قال الرضي: «قوله: (فالواو للجمع المطلق): معنى المطلق أنه يحتمل ان يكون حصل من كليهما في زمان واحد، وأن يكون حصل من زيد أولا، وأن يكون حصل من عمرو اولا، فهذه ثلاثة احتمالات عقلية لا دليل في الواو على شيء منها. هذا مذهب جميع البصريين والكوفيين»[3].

(١) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٤.

(٢) الجنى الداني- للمرادي ٣٢/ ٤، مغنى اللبيب- لإبن هشام ٢/ ٣٥٤.

(٣) شرح الرضي على الكافية ٤/ ٣٨٢.

وذهب جماعة من النحاة منهم الفراء، والكسائي وثعلب وغيرهم، وبه قال بعض الفقهاء أنها للترتيب والشواهد تؤيد الرأي القائل انها مطلق الجمع، فقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾[1] أي: عطفت الشيء على مصاحبة[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾[3] عطفت ابراهيم (عليه السلام) وهو اللاحق على نوح (عليه السلام) وهو السابق.

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾[4] عطفت السابق (الذين من قبلك) على اللاحق، وهو الكاف ضمير الرسول ﷺ.

ولو كانت للترتيب لتناقض قوله تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾[5] وقوله: ﴿ حِطَّةٌ ﴾[6].

وقوله في موضع اخر﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾[7] إذ القصة واحدة[8].

وقولهُ هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿الم نشرح لك صدرك﴾ بالمعنى، لا باللفظ، لأنه لا يصح ان نقول: الم وضعنا . لان معنى: الم نشرح كما مر: قد شرحنا، ولو كانت معطوفة باللفظ لتحتمل ان يقال: ونضع عنك وزرك.

---

(١) العنكبوت آية ١٥

(٢) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٤.

(٣) الحديد آية ٢٦

(٤) الشورى آية ٣

(٥) البقرة ٥٨

(٦) البقرة ٥٨

(٧) الاعراف آية ١٦١

(٨) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤/ ٣٨٢، وينظر: مغنى اللبيب- لإبن هشام ٢/ ٣٥٤.

جاء في تفسير الرازي: «قال المبرد[1] : هذا محمول على معنى الم نشرح لا على لفظه، لأَنك لا تقول: الم وضعنا، ولكن معنى ﴿الم نشرح﴾ قد شرحنا، فحمل الثاني على معنى الاول لا على ظاهر اللفظ، لانه لو كان معطوفا على ظاهره لوجب ان يقال: ﴿ونضع عنك وزرك﴾[2]، ويلاحظ ان التعبير القرآني قد قدَّم الجار والمجرور(عنك) المتعلق بقوله (وضعنا)،على المفعول به (وزرك) وذلك لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فضلا عن تأخيره عن المفعول به مخلٌ لتجاوب اطراف النظم الكريم[3].

ويلاحظ ايضا في هذه الاية الكريمة استعمال (وضع) بدلا من الكلمات التي تؤدي معنى الانزال كالحطَّ او الحلِ وقد قرأ أنس بن مالك (وحططنا عنك وزرك) وقرأ ابن مسعود (وحلِلنا عنك وقرك)[4] .

جاء في المفردات : «الوَضْعُ أعمُّ من الحطّ ومنه الموضوع قال:﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[5] ويقال ذلك في الحَملِ و الحِمل ويقال وضَعَتِ الحَمْلَ فهو موضوع»[6] .

أصل الوزر: هو الحمل الثقيل، ويسمى (الذنبُ) وزراً لثقله، والجمع اوزار[7].

وقد ذكر المفسرون في معنى (الوزر) اقوالاً:

١- معنى الوزرِ(الاثم): قال الزجاج: « أي: وضعنا عنك إثمك إن غفر الله لك ما

---

(١) ينظر: المقتضب- للمبرد ٢/ ١٩.

(٢) التفسير الكبير- الرازي ٣٢/ ٥، وينظر: الجامع لاحكام القرآن - للقرطبي ٢٢/ ٣٥٥، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٧.

(٣) ينظر: روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٧.

(٤) ينظر: المحتسب- لإبن جني ٢/ ٣٦٦، الكشاف- للزمخشري ٤/ ٢٦٦، المحرر الوجيز- لإبن عطية ٥/ ٤٩٧.

(٥) النساء آية ٤٦

(٦) المفردات- للأصفهاني ص ٥٤٩.

(٧) المفردات- للأصفهاني ص ٥٤٥، ولسان العرب- لابن منظور مادة (وزر) ٦/ ٤٣٣.

تقدم من ذنبك وما تأخر»[1].

٢- وعند بعض المتأولين: الثقل الذي كان على رسول الله وحيرته قبل المبعث، إذ كان يرى سوء ما قريش فيه من عبادة الاوثان، وكان لم يتَّجه له من الله أمر واضح، فوضع الله عنه ذلك الثِّقل بنبوته وإرساله.[2]

٣- وقال ابو عبيدة وغيره المعنى: خفَّفنا عليك أثقال النبوة، وأعنّاك على الناس.[3]

٤- وقال قتادة، وابن زيد، والحسن، وجمهور المفسرين:

الوزر هنا: الذنوب، وأصله الثقل، فشبهت الذنوب به، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4].

وكان رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل النبوة وزره صُحبةَ قومه، وأكله من ذبائحهم ومن نحو هذا[5].

٥- وقال الضحاك في كتاب النقاش: حضورُه مع قومه المشاهد التي لايحبها الله تعالى[6].

ويرى أبو حيان ان قوله تعالى: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس[7].

---

(١) معاني القرآن واعرابه- للزجاج ٥/ ٢٦٠.

(٢) ينظر: الكشاف- للزمخشري ٥/ ٧٥٩، المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٤، والتفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٥.

(٣) المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٤.

(٤) الفتح آية ٢.

(٥) ينظر: اعراب القرآن- للنحاس ص ١١٠٨، المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٤.

(٦) المحرر الوجيز- لابن عطية ٨/ ٦٤٤.

(٧) ينظر: الخصائص- لابن جني ١/ ٣٢١، ومعاني النحو- د. فاضل السامرائي ١/ ١٣٣.

ومن الأقوال المذكورة انفاً يتبن لنا ان النبي ﷺ كان يثقل عليه ويغمُّهُ بعض ما كان عليه قبل النبوة، او من جهله بالأحكام والشرائع، او من اسفه وحزنه وتهالكه على عصيان أُولي العناد من قومه الذين يُعرضون على الدخول بالدين الحنيف.

ويلاحظ ان قوله (وزرَكَ) قد وصُف باسم الموصول(الذي) عرف الجملة الخبرية التي جاءت بعده، يقول النحاة إن (الذي) واخواته ممّا فيه (ال) انما وضع توصلاً الى وصف المعارف بالجمل، لأن الجمل نكرات ولا توصف بها المعارف فيؤتى بإسم الموصول ليعرفها.

وان هذه الجملة – أعني صلة الموصول- يتوجب ان يكون معناها معهوداً للمخاطب أي معلومة له والمخاطب هنا هو النبي ﷺ .

قال بن يعيش: «وينبغي أن تكون الجملة التي تقع صلة معلومة عند المخاطب، لان الغرض بها تعريف المذكور بما يعلمه بالمخاطب من حال ليصبح الإخبار عنه بعد ذلك...» فلذلك لا تقول: جاءني الذي قامَ إلا لِمن عُرِف قيامه وجهل مجيئه، لأن جاء خبر وقام صلة.

وكذلك لا تقول: أقبل الذي أبوه منطلق إلا لِمن عرف انطلاقه، وجهل إقباله»[1]، فيكون اسم الموصول هنا كـ(ال)العهدية التي تَعّرف المفردات[2].

- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴾

أَنقض: ذكر النحاس ان اهل التفسير يقولون أن معنى (انقض ظهرك) أثقله[3] .

ويذكر اهل اللغة ان النقيض: هو صوت الانقضاض والانفكاك لثقله، فالظهر اذا أُثقِل

(١) ينظر: شرح المفصل- لإبن يعيش ٣/ ١٥٤، شرح الرضي على الكافية ٣/ ٧-٩، وشرح التصريح على التوضيح- للأزهري ١/ ١٦٨.

(٢) معاني النحو- د. فاضل السامرائي ١/ ١٣١.

(٣) ينظر: اعراب القرآن- للنحاس ص ١١٠٩.

بالحملِ سُمع له نقيض أي : صوتٌ خفي، وهو صوت المحامل والرحال والاضلاع [١] ، جاء في التفسير الكبير: «قال علماء اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقل الحمل سمع له نقيض، أي صوت خفي، وهو صوت المحامل والرحال والاضلاع، او البعير اذا اثقله الحمل، فهو مَثَلٌ لما كان يثقل على رسول الله ﷺ من اوزاره»[٢] .

والتفكر من استعمال انقض هنا: هو لبيان ما كان يعاني منه الرسول ﷺ عمّا لاقاهُ من قومه بحيث وصل الى حد لا يستطاع حملهُ بدءا مما صدر منه قبل البعثة الذي كان يشق عليه تذكره ولا سيما عدم معرفته بالشرائع ونحوها مما لا يدرك الا بالوحي وحيرته ﷺ في بعض الامور كأداء حق الرسالة وثقل الوحي وتلقيه فقد كان يثقل عليه ﷺ في ابتداء امره وما كان يرى من ضلالة قومه مع العجز عن ارشاد قسم منهم وقيامهم بإيذائه ﷺ وهمه ﷺ من وفاة ابي طالب وخديجة (رضي الله تعالى عنها) [٣].

فهذه الامور وغيرها التي لا يعلمها الا الله التي وصفها بالحملِ الشديد الذي يثقل الظهر ويسمع له صوت وكل ذلك قد وضعه الباري (عز وجل) ففي ذلك دقة اختيار لفظ (انقض ظهرك) ولو استعمل لفظ آخر كأثقل مثلا لما أدى المعنى المطلوب . والله أعلم.

- ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

الرفع: «الرفع ضد الوضع، ومنه حديث الدعاء (اللهم ارفعني ولا تضعني) [٤] ويستعمل في الامور المعنوية والحسية»[٥] .

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة (انقض)- لإبن منظور ٦/ ٣٢١، ومعاني النحو- د. فاضل السامرائي ١/ ١٣٣.

(٢) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٥، وينظر: المحرر الوجيز- لإبن عطية٥/ ٤٩٧ ، البحر المحيط- لابي حيان ٨/ ٤٨٨ ، والدر المصون- للسمين الحلبي ٦/ ٥٤١.

(٣) روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٨.

(٤) زاد السالكين لطريق رب العالمين - فواز الحسيني ص٦٧.

(٥) ينظر: تاج العروس- للزبيدي مادة (رفع) ٢١/ ١٠٤.

جاء في مقاييس اللغة: «(الراء والفاء والعين) اصلٌ واحد يدل على خلاف الوضع. تقول: رفعتُ الشيء رفعا، وهو خلاف الخفض، ومرفوع الناقة في سيرها : خلاف الموضوع.

قال طرفة:

مَوضُوعُها زَوْلٌ و مَرْفُوعُها كمَرِّ صَوْبٍ لِجَبٍ وَسْطَ رِيْحْ[1]

يقال رفع البعير ورفعتهُ انا.

ومن الباب الرفع: تقريب الشيء. قال الله عز في ثناؤه: «فرش مرفوعة»[2] أي: مقربة لهم. ومن ذلك قولهُ رفعته للسلطان، ومصدر ذلك الرفعان، ويقال للناقة اذا رفعت اللبأ في ضرعها: هي رافعُ. والرفعُ: إذاعة الشيء وإظهاره.

ومنه الحديث، قال الرسول ﷺ : (كل رافعة رفعت علينا من البلاغ فقد حرمتها)[3]، أي: كل جماعة مُبلغة تُبلغ عنا فلتبلغ اني حرمت المدينة، وذلك كقولهم رفع فلان عن العامل، وذلك اذا اذاع خبرهُ، ورفع الزرع: ان يُحمل بعد الحصاد الى البيدر، يقال هذه ايام الرفع[4].

ولو وقفنا نتلمس قوله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ لوجدنا فيها معاني كثيرة لا يمكن عدُّها وحصرها.

وحسبك ان الرافع هو الله سبحانه وتعالى، والمرفوع ذكره هو النبي ﷺ حبيبه وصفيه من خلقه، فتأمل ذلك.

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٦.

(٢) الواقعة آية ٣٤.

(٣) ذخيرة الحفاظ- لإبن طاهر القيسراني ٤/ ١٨٤٥ رقم الحديث ٤٢٤٢، رواه حرام بن عثمان عن عبد الرحمن ومحمد ابني جابر عن ابيهما ان رسول الله ﷺ قال: (كل رافعة رفعت علينا من البلاغ فقد كرمتها ان تعضد، او تحبط الاّ لعصفور كثر او مسح محالة او عصا جريدة) الحديث متروك.

(٤) مقاييس اللغة- لابن فارس ٢/ ٤٢٤.

ومما يلاحظ انه لم يخصص رفع ذكره بشيء؛ بل جعله عاما مطلقا غير محدَّد ليشمل كل ما أَنعمه الله به عليه من النعم، فهو يشمل نعمة النبوة، ومكانته بين الناس وشهرته في الارض والسماء وكتابة اسمه ﷺ باسمه (عز وجل) في كلمتي الشهادة، وفي الآذان.

وجعل طاعته ﷺ من طاعته (سبحانه وتعالى) فقال : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[1]، ومرضاة النبي ﷺ جعل من مرضات الله فقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾[2]، وصلَّ عليه في ملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[3].

وخاطبه بأعلى الالقاب وأنفسها لقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾[4] و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾[5] و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾[6] و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾[7]، وذكره في كتب الاولين وأخذ على الانبياء (عليهم السلام) ان يؤمنوا به[8] وغيرُ ذلك كثير.

ويلاحظ ان التعبير القرآني قدم الجار والمجرور (لك) على المفعول به وما ذلك إلاّ للتخصيص والحصر، أي: رفعنا لك وحدك من الخلق ذكرك، فلو أخره لاختلف المعنى ولاحتمل ان يكون قد رفع ذكره وذكر غيره. والله اعلم، فضلا عن براعة النظمِ وانتظام الفاصلة.

---

(١) المائدة آية ٩٢.

(٢) التوبة آية ٦٢.

(٣) الاحزاب آية ٥٦.

(٤) المدثر آية ١

(٥) المزمل آية ١

(٦) الانفال الآيات (٦٤،٦٥،٧٠)، الاحزاب الآيات (١،٢٨،٥٠،٩٠) وغيرها.

(٧) المائدة آية ٦٤، ٦٧.

(٨) ينظر: معاني القرآن- للزجاج ٥/ ٢٦٠، الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٥٩-٧٦٠ ، روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٣٩، و التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٦.

- ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

في هذه الاية طمأنة كبيرة من الباري عزَّ وجلّ لحبيبه المصطفى ﷺ ووعده بالنصر والغنى في الدنيا ليزيل عن قلبه الشريف ما لاقاه من التأذي من المشركين الذين عيرَّوه بالفقر والقلة، فيبشره بأن مع الضيقة سعة، ومع الشدة رخاء، ومع الكرب فرجا.

وفيها وعدٌ منه سبحانه وتعالى بأن كل عسير يتيسر، وكل شديد يهون، وكل صعبٍ يلين، وقد أكد الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ذلك للتأكيد والتقرير فقال: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1].

وقد أختلف في الفاء الداخلة على (إن):

١- فهي على ما في الكشاف فصيحة، وهي التي تُفصحُ عن محذوف وتفيد بيان سببيته، فقال بعضهم هي الداخلة على جملةٍ مسببة على جملةٍ غير مذكورة كقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ ﴾[2] أي: فضرب فانفجرت[3]، والكلام في قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا﴾ وعدٌ له ﷺ مسوقٌ للتسلية و التنفيس.

قال الزمخشري: « كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر والضيقة، حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم، فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال: ﴿فإن مع العسر يسرا﴾ كأنه قال: خوّلناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله، فإن مع العسر يسر الذي انتم فيه يسراً[4].

٢- وقال آخرون الفاء سببية ، لان الكلام تقريرٌ لما قبله وعدة له لتيسير كل عسر وقد دخلت على السبب وأن تعارض دخولها على المسبب لتسبب ذكره عن ذكره فإن ذُكر

(١) ينظر: التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٧، وفتح القدير- للشوكاني ٥/ ٤٦٢.
(٢) البقرة آية ٦٠.
(٣) ينظر: معجم القواعد العربية- عبد الغني الدقر ص ٣٥٠.
(٤) الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٦٠.

أحدهما يستدعي ذكر الآخر، وقيل غير ذلك في معناها[1] .

ويلاحظ مجيء (مع) وهي تفيد الصحبة مع العسر واليسر، واليسر غير العسر، وهما ضدان وفي ذلك ملحظ بياني وهو للتدليل على قُرب زمان وقوع اليسر بعد العسر الذي هم فيه قال الزمخشري: « فإن قلت: -ان مع- للصحبة، فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟

قلت: «اراد ان الله يصيبكم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب»[2].

- ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

ذُكر في تكرار هذه الآية الكريمة قولان او احتمالان:

الاول: ان تكون تكريراً للجملة السابقة لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب كما قرر قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [3] وكما قالوا في تكرار الجواب فيقال (بلى ، بلى او لا ، لا)[4] .

الثاني: وتحتمل أن تكون وعداً مستأنفاً؛ لان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف.[5]

وقد رجح الآلوسي الاستئناف فقال: « واحتمال الاستئناف هو الراجح؛ لما عُلِمَ من فضل التأسيس على التأكيد، كيف وكلام الله تعالى محمولٌ على ابلغ الاحتمالين وأوفاهما، والمقام كما تقدم مقام التسلية والتنفيس، والاستئناف نحويٌّ، وتجرُّده عن الواو اكثر من

(١) ينظر: روح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٤٠-١٤١.

(٢) ينظر: الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٦٠، وينظر: التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٧، والدر المصون- للسمين الحلبي ٦/ ٥٤١-٥٤٢.

(٣) المرسلات آية ١٥.

(٤) ينظر: النكت والعيون- للماوردي٦/ ٢٩٨، والدر المصون- للسمين الحلبي٦/ ٥٤١.

(٥) ينظر: الدر المصون- للسمين الحلبي٦/ ٥٤١، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٤٠.

ان يحصى، ولا يحتاج الى بيان نكتة؛ لانه الاصل»[1] .

- **تعريف العسر وتنكير اليسر وتنوينها**

يلاحظ ان التعبير القرآني قد ذكر(العسر) مع الالف واللام مرتين، وذكر (يسراً) مجردة من الالف واللام، وفي ذلك ملحظ بياني، ثم ثنى ذكره فصار المعنى:ان مع العسر يسرين[2]، وهو ان(العسر)في الآيتين واحد، وان(اليسر) اثنان، والألف واللام تحتمل ان تكون في الاول لتعريف الجنس، وفي الثاني للعهد.

جاء في الدر المصون: والالف واللام في العسر الاول لتعريف الجنس، وفي الثاني للعهد ولذلك روي عن ابن عباس(رضي الله عنهما): ((لن يغلب عسر يسرين)).

وروي ايضا مرفوعاً انه ﷺ: خرج يضحك ويقول: (لن يغلب عسر يسرين)[3] والسبب فيه ان العرب اذا أتت باسم، ثم أعادته مع الالف واللام كان هو الاول نحو: جاء رجل فأكرمت الرجل، وكقوله تعالى:﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾[4]، ولو اعادته بغير الالف واللام كان غير الاول قوله تعالى: ﴿ان مع العسر يسرا﴾ لما اعاد العسر اعاده ب(ال)، ولما كان اليسر الثاني غير الاول لم يعد ب(ال)»[5] .

وقال الزمخشري: فان قلت: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود (رضي الله عنهم): لن يغلب عسر يسرين.

وقد روي مرفوعاً انه خرج ﷺ ذات يوم وهو يضحك ويقول: (لن يغلب عسر يسرين)؟ قلت: هذا عمل على الظاهر، وبناء على قوة الرجاء، وان موعد الله لا يحمل

---

(١) روح المعاني- للألوسي ٢٩/ ١٤٠.
(٢) معاني القرآن - للزجاج ٥/ ٢٦٠.
(٣) صحيح البخاري(كتاب بدء الوحي) ٦/ ٢١٣ ح رقم (٤٩٥١).
(٤) المزمل الآية (١٥،١٦)
(٥) الدر المصون- للسمين الحلبي٦/ ٥٤١.

الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه، والقول في أنه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى كما كرر قوله: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1] لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وكما يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، وان تكون الاولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة.

والثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وانما كان العسر واحداً؛ لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو، لأن حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالاً، إن مع زيد مالاً.

وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو ايضاً، واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس، فاذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الاول بغير اشكال[2].

وقال ابو البقاء العكبري: (العسر) في الموضعين واحد؛ لان الالف واللام توجب تكرار الاول ، واما يسراً في الموضعين فاثنان؛ لأن النكرة اذا أُريد تكريرها جيء بضميرها، او الالف واللام، ومن هنا قيل: (لن يغلب عسرٌ يسرين)[3] .

اما التنكير في قوله (يسرا) فقد أفاد هنا التفخيم.

قال الزمخشري: «فإن قلت : ما معنى هذا التنكير؟ قلت: التفخيم، كأنه قيل: ان مع العسر يسراً عظيماً وأي يسر»[4] .

- ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾

---

(١) الطور آية ١١.

(٢) الكشاف - للزمخشري ٤/ ٧٦١.

(٣) التبيان في إعراب القرآن- للعكبري ٢/ ٤٦٧.

(٤) الكشاف - للزمخشري ٤/ ٧٦١، ينظر: التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٧، والدر المصون- للسمين الحلبي ٦/ ٥٤٢.

بعد أن عدد سبحانه وتعالى نِعمهُ السّالفة على نبيه المصطفىﷺ ليزداد قلبه اطمئنانا؛ بأنّ الله معه، وتهدأ نفسه المُتعبة مما لاقاه من أذى، وما كان يكابده من عزوف قومه عن الدخول بالدين الجديد.

وما كان يحيط به من هواجس أعيته وعده سبحانه وتعالى بما وَعَد ووعده الحق ، أمره الباري (عز وجل) بالشكر والحمد والاجتهاد في العبادة والكثرة منها؛ لأن النعم التي أنعمها الله عليه ﷺ والوعد الذي وعده به يجب أن يقابل بالشكر والطاعة والعبادة فقال له: ﴿فإذا فرغت فأنصب﴾ أي فاتعب تعباً شديداً يليق بنعم الباري (عز وجل).

(فإذا) الفاء في قوله (فإذا) ممكن أن تكون عاطفة على مقدار يستحقه المقام هنا؛ ويمكن أن تكون استئنافية بيانية، والاستئناف البياني: هو الذي يكون جواباً لسؤال مقدر، وكأنما قال: ماذا بعد الشكر والعبادة والاجتهاد فيهما، فقال: فإذا فرغت من ذلك فأرغب.

جاء في مغني اللبيب: ويخص البيانيون الإستئناف بما كان جواباً لسؤال مقدر نحو قوله تعالى:﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

فأن جملة القول الثاني جواب لسؤال مقدر تقديره: فماذا قال لهم؟ ولهذا فُصِلتْ عن الأولى فلم تعطف عليها»[2] .

ومما يلاحظ هنا انه استُعمل في هذه الآية الكريمة (إذا) ولم يُستعمل غيرها كـ (إن) الشرطية، وذلك أن (اذا) تستعمل للمتيقن وقوعه او الراجح، في حين ان (إن) الشرطية تستعمل بالمشكوك وقوعه او المحتمل او النادر الوقوع[3].

(١) الذاريات الآية (٢٤،٢٥)

(٢) مغني اللبيب- لإبن هشام ٢/ ٣٨٣.

(٣) ينظر: الجنى الداني- للمرادي ص ٣٦٠، وشرح المفصل- لابن يعيش ٩/ ٤.

جاء في الإتقان للسيوطي: « تختص (إذا) بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع بخلاف (إن) فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ [1]، ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [2] فأتى بـ (إذا) في الوضوء لتكراره وكثرة اسبابه، وبـ (إن) في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة للحدث، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟﴾ [3] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [4].

أتى في جانب الحسنة بـ (إذا) لان نِعْمُ الله على العباد كثيرة ومقطوع بها، و(إن) في جانب السيئة؛ لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها»، فلما كان الفراغ واقعاً ولا محالة من حصوله استعمل (إذا) للمتيقن حصوله ولم يستعمل (إن) للمشكوك في حصوله»[5].

(فرغت) واستعمل التعبير القرآني الفعل (فرغ) لأنه يدل عن الخلِّو من الشيء تماماً.

جاء في مقاييس اللغة: « (الفاء والراء والغين): أصلٌ صحيح يدل على خلو وسعة ذرع من ذلك الفراغ. خلاف الشغل، يقال: فرغ فراغاً وفروغاً، وفرِغَ ايضاً.

ومن الباب الفرغ: مفرغ الدلو الذي ينصب منه الماء، وأفرغتُ الماء: صببتهُ، وافترغتُ: إذا صببت الماء على نفسك، وذهب دمه فرغاً، أي: باطلا لم يُطلب منه، وفرسٌ فريـغٌ، أي: واسع المشي، وسمي بذلك لأنه كأنه خالٍ من كل شيء فخف عدوه ومشيه، وضربةٌ فريـغٌ، وطعنةٌ ايضا، وحلقةٌ مفرغة، لانه شيء يصب صباً، وطريق فريغٌ: أي: واسع»[6].

(١) المائدة آية ٦.
(٢) المائدة آية ٦.
(٣) الاعراف آية ١٣١.
(٤) الروم آية ٣٦.
(٥) الاتقان في علوم القرآن- للسيوطي ١/ ٣١٦-٣١٧.
(٦) معجم مقاييس اللغة- لابن فارس ٤/ ٤٩٣.

(فانصب) الفاء عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب[1]، أي: ان النصب يكون بعد الفراغ والخلو مما كان فيه ﷺ، والنَصَبُ: الاعياء والتعب والجدُّ فيهما.

جاء في لسان العرب: «النصب: الإعياء من العناء، ونَصِبَ الرجل - بالكسر- أعيى وتعب... والنصب: التعب، ونصب الرجل: جَدَّ، ﴿فإذا فرغت فانصب﴾.

قال الازهري: «هو من نصِبَ نصباً اذا تعب»[2][3] ، فالمعنى انك ﷺ اذا فرغت من كل مشاغل الناس والحياة وما يتطلبه ذلك فتوجه الى الباري (عز وجل) وابذل الجهدَ كلَّهُ، وانصب فيه في عبادتنا ولا تدع فراغاً من الوقت يمرُّ دون ذكرنا وشكرنا.

- ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾

الواو عاطفة، عُطفت هذه الجملة على سابقتها (والى) هنا لانتهاء الغاية، أي: ان الرَّغب منتهِ الى الباري (عز وجل).

قال المبرد: «وأما (الى) فانما هي للمنتهى الا ترى انك تقول: ذهبت الى زيد، وسرت الى عبد الله، ووكلتك الى الله»[4] .

- وفي هذه الآية تلاحظ تقدم الجار والمجرور(الى ربك) على عامله وهو (فارغب) وفي هذا التقديم ملحظ بياني؛ وهو إفادة الحصر والاختصاص، أي: الى ربك وحدهُ فارغب، فضلاً عن مراعاة الفاصلة فقد سبقه(فانصب) و ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾فلو أخر الجار والمجرور لاختلّ المعنى والنظم.

جاء في الطراز في تقديم الظرف على الجار والمجرور: «هو على وجهين»:

احدهما: ان يكون وارداً دلالة على الاختصاص وهذا كقوله تعالى:﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ

(١) ينظر: مغني اللبيب- لإبن هشام ١/ ١٦١-١٦٢.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة - للأزهري ١٢/ ١٤٧ .

(٣) لسان العرب- لإبن منظور مادة (نصب) ٦/ ١٩٢.

(٤) المقتضب- للمبرد ٤/ ١٣٩.

﴿ ٱلْأُمُورُ ﴾ [1] لأن المعنى ان الله تعالى مختص بصيرورة الامور إليه دون غيره.

ونحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3].

وثانيهما: ان يكون تقديمه من اجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي في التشجيع وهذا كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناضرة﴾ ليطابق قوله (باسرة) و(فاقرة) ونحو قوله: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [4] »[5].

وقال السيوطي: «كاد اهل البيان يطبقون على ان تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً».

ولهذا قيل في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [6] معناه تحصل بالعبادة والاستعانة وفي ﴿ لِإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [7] معناها اليه لا الى غيره»[8].

ومن هنا يتضح ان الله سبحانه وتعالى يأمر النبي ﷺ على الحرص بالسؤال لسؤاله وألا يسأل غيره تعالى، فأنه تعالى القادر على إسعاف الطلب وإجابته لا غيره (عز وجل).

وقد ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب﴾ أقوالاً: قال ابن عباس(رضي الله عنهما): « أي اذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء»[9].

---

(١) الشورى آية ٥٢.

(٢) الغاشية آية (٢٥،٢٦).

(٣) التغابن آية ١.

(٤) القيامة(٢٩،٣٠)

(٥) الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز- لابن طباطبا العلوي ٢/ ٣٩-٤٠.

(٦) الفاتحة آية ٥.

(٧) آل عمران آية ١٥٨.

(٨) الاتقان في علوم القرآن- للسيوطي ٢/ ١١١.

(٩) ينظر: جامع البيان - للطبري ٢٤/ ٤٩٧، والدر المنثور- للسيوطي ٦/ ٥٤٢.

وعن ابن مسعود(رضي الله عنه): « اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل»[1] .

وعن الحسن: اذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة.

وعن مجاهد: اذا فرغت من اسباب نفسك، أي: من دنياك فصلِّ.[2]

وقال قتادة والضحاك : إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب والى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسألة يعطيك»[3] .

- وقال الشعبي: « اذا فرغت من التشهد فادعوا لدنياك وآخرتك[4]، وفي قوله: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ ذكر الرازي وجهين: «احدهما: اجعل رغبتك الى الله تعالى خصوصاً، ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه، والآخر: ارغب في سائر ما تلتمسه ديناً ودنيا، ونصرة على الاعداء الى ربك»[5] .

وأرى ان كل هذه الاقوال مرادّة ؛ لأن الرغبة هي السعة والحرص في طلب الشيء. والله تعالى اعلم، فقد أمره بأن يرغب الناس لعبادة الله وتوحيده وعدم الشرك فيه، ويرغبهم في العبادات والاستزادة والإكثار فيها كالصلاة والزكاة والصوم والحج ويرغبهم في دعاء الباري (عز وجل) وحده، وكثرة السؤال منه تعالى وشكره سبحانه وتعالى، وأن يتوكلوا عليه ويسألوه من فضله ونصرتهم على الاعداء والترغيب في سائر امور الدين والدنيا.

---

(١) ينظر: جامع البيان - للطبري ٢٢/ ٤٩٩، والدر المنثور- للسيوطي ٦/ ٣٦٥.

(٢) ينظر: جامع البيان - للطبري ٢٢/ ٤٩٩، والدر المنثور- للسيوطي ٦/ ٣٦٥، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٤٥.

(٣) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٨.

(٤) التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٨ .

(٥) المصدر السابق نفسه.

والدليل أنه اراد الاطلاق في الترغيب والعموم إنه حذف المُرَغَّب فيه وجعله عاماً مطلقاً فلو كان مخصوصاً لحدده بذلك المعمول كأن يقول مثلا: والى ربك فارغب في الدعاء، او في العبادة، او غير ذلك، فلما حذفه أراد الاطلاق.

وقرأ زيد بن علي وابن ابي عبلة (فرغّب) بتشديد الغين أمراً من (رَغَّبَ) بالتشديد، أي: رغّب الناس الى طلب ما عنده (عز وجل)[1] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين

(١) ينظر: الكشاف- للزمخشري ٤/ ٧٦٢، التفسير الكبير- للرازي ٣٢/ ٨، البحر المحيط- لأبي حيان ٨/ ٤٨٩، الدر المصون- للسمين الحلبي ٦/ ٥٤٢، وروح المعاني- للآلوسي ٢٩/ ١٤٦.

الخاتمة

بعد ان عشنا مع هذه الصورة المباركة ووقفنا على أهم ملامح التفسير البياني فيها، نستطيع ان نبين أهم ما توصل اليه البحث من نتائج:

١- ان في تسمية السورة خلاف بين المفسرين ، فأغلب كتب التفسير سمتها بـ(الشرح) وبعضها سمتها بـ(الانشراح) ومِلْتُ في بحثي هذا الى من قال في تسميتها بـ(الشرح).

٢- ان في مكان نزول السورة اختلاف فأكثر المفسرين قال انها مكية وبعضهم قالوا انها مدنية، ورجح البحث القول الاول؛ والسبب انها تحمل مقاصد السورة المكية نفسها.

٣- ان هناك تناسب وثيق بين سورة الشرح وسورة الضحى التي قبلها؛ لأن كلتا السورتين نزلتا في رسول الله ﷺ وخطاب له، وفي سورة الشرح إستكمال للنعم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة الضحى.

٤- ان معنى الشرح المذكور في قوله تعالى: على قسمين:

ا- شرح معنوي متمثل بـ (التليين، والتوسعة من الضيق، ...الخ)

ب- شرح حسّي الذي نُقِلَ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وهي قصة فتح صدر النبي ﷺ.

٥- معنى الوزر في قوله تعالى: كما قال به جمهور المفسرين : الذنوب، واصله : الثقل، وكان رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل النبوة وزره صحبة قومه وأكله من ذبائحهم، ومن نحو هذا.

٦- تقدم الجار والمجرور(لك) في بعض الآيات من السورة وذلك لإفادة الحصر والاختصاص، فلو أُخِرَ الجار والمجرور لإختل المعنى والنظم، فضلا عن مراعاة الفاصلة في الآيات الكريمات.

المصادر والمراجع

-أ-

١.اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦ه)، ط ٨، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان ١٤٢٥ه-٢٠٠٥م.

٢.اعراب القرآن: تأليف: ابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل ابن النحاس (ت:٣٨٨ه) تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

٣.الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١ه) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٧ه -١٩٨٧م.

٤.الاعجاز البياني في ثنائيات القرآن الكريم في ضوء علم المناسبة: تأليف: الاستاذ مسلم شاكر جبر، راجعه ا.د. خليل ابراهيم السامرائي وا.د. عقيد خالد العزاوي، ط١، دار العصماء- دمشق ١٤٣٧ه-٢٠١٦م.

٥.أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للقاضي ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، ت(٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق ومحمد أحمد الاطرش، دار الرشيد ومؤسسة الايمان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

-ب-

٦.البحر المحيط : لابي حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت:٧٤٥ه) تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود،ط٢، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

٧.البرهان في علوم القرآن: ابو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤ه) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان

١٤٣٣ه-٢٠١٢م.

٨.بحر العلوم= (تفسير السمرقندي): ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي(ت:٣٧٣ه) تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت.

-ت-

٩. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي محمد بن عبد الرزاق الحسيني ابو الفيض (ت:١٢٠٥ه) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ١٩٨٢م.

١٠.تفسير الرازي ومفاتيح الغيب(التفسير الكبير): المؤلف الرازي فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر، ت(٦٠٦هـ)اعداد: ابراهيم شمس الدين احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.

١١.تفسير القرطبي (الجامع لإحكام القران): المؤلف محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ابو عبد الله، (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٤٢٧ ه- ٢٠٠٦م ، ط١.

١٢.التفسير البسيط : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) الناشر: عمادة البحث العلمي في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، وهي رسالة دكتوراه في الجامعة المذكورة، ط١- ١٤٣٠ه.

١٣.التبيان في اعراب القرآن: تأليف : أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦ه) وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط٢ ٢٠١٠م.

١٤.تهذيب اللغة: محمد بن احمد الازهري، أبو منصور (ت: ٣٧٠ه) تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١ ،٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٥.التناسب بين السور في المفتتح والخواتم: د. فاضل صالح السامرائي، دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢ه.

-ج-

١٦.الجامع الصحيح : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري (ت:٢٥٦ه) دار الشعب- القاهرة، ط١، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.

١٧.جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): للطبري محمد بن جرير بن يزيد ابي جعفر(ت:٣١٠ه) ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

١٨.الجنى الداني: للمرادي حسين بن قاسم المرادي (ت:٧٤٩ه) تحقيق: طه محسن، مؤسسة دار الكتب والطباعة والنشر- جامعة الموصل، ١٣٩٦ه- ١٩٧٦م.

-خ-

١٩.الخصائص: عثمان بن جني الموصلي(ت:٣٩٢ه) تحقيق: محمد على النجار، ط٤، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

-د-

٢٠.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: شهاب الدين احمد بن يوسف ابن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي(ت: ٧٥٦ه) تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل احمد عبد الموجود، الدكتور جاد مخلوق، الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤ه-١٩٩٤م.

٢١.الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) مركز هجر للبحوث، دار هجر مصر، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

٢٢.دلائل النبوة : للإمام البيهقي (ت:٤٥٨ه) حققه ووثق أصوله وخرج احاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

٢٣.ديوان طرفة بن العبد: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ابو عمرو الشاعر الجاهلي(ت:٥٦٤ه) تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية،

ط٣، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

-ذ-

٢٤.ذخيرة الحفاظ (من الكامل لابن عدي):ابي الفضل محمد بن طاهر بن علي بن احمد المقدسي الشيباني، المعروف بأبن القيسراني (ت:٥٠٧ه) تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، ط١،دار السلف - الرياض ١٤١٦ه-١٩٩٦م.

-ر-

٢٥.روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، ت(١٢٧٠هـ)، تحقيق: ماهر جبوش، وساهم في تحقيقه: ادريس الجنابي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٣١ه-٢٠١٠م-

-ز-

٢٦.زاد السالكين لطريق رب العالمين: من أوراد السادة الرفاعية، للشيخ فواز ابن بشار بن سعيد بن محي الدين الطباع الحسني، كتاب وناشرون، بيروت - لبنان.

٢٧.زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان ١٤٢٢ه.

-س-

٢٨.السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين محمد بن احمد الخطيب الشربيني(ت:٩٧٧ه)، مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٨٥ه.

-ش-

٢٩.شرح التصريح على التوضيح: خالد بن عبد الله الأزهري(ت:٩١٥ه) تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.

٣٠.شرح الرضي على الكافية: لابن الحاجب محمد رضى الدين الاستراباذي،

ت(٦٨٦هـ)، تحقيق وتصحيح: د. يوسف حسن عمر، ط٢، جامعة قاز يونس- بنغازي، ١٩٨٦م، مطابع الشروق- بيروت.

٣١.شرح المفصل: ابن يعيش يعيش بن علي بن يعيش (ت:٦٤٣ه) تحقيق: مشيخة الازهر، طبعة المطبعة المنيرية، مصر.

-ط-

٣٢.الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: الملقب بالمؤيد بالله يحيي بن حمزة بن علي بن ابراهيم الحسيني العلوي الطالبي (ت:٧٤٥ه) المكتبة العصرية ، بيروت،ط١، ١٤٢٣ه.

-ع-

٣٣.على طريق التفسير البياني: د. فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر، عمان - الاردن ١٤٣٢ه-٢٠١١م.

-ف-

٣٤.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف: محمد ابن علي بن محمد الشوكاني (ت :١٢٥٠ه) دار احياء التراث، بيروت- لبنان.

٣٥.في ضلال القرآن: تأليف: سيد قطب(ت: ١٢٨٥ه)، دار الشروق، القاهرة- رابعة العدوية، ط ٣٤، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.

-ك-

٣٦.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري الخوارزمي (ت:٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه و صححه : محمد عبد السلام شاهين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٤ ، ٢٠١٦م- ١٤٢٧ه..

٣٧.الكشف والبيان عن تفسير القران: لأحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي: ابي

اسحاق، ت(٤٢٧هـ)، تحقيق: الامام ابي محمد عاشور.

٣٨.الكليات: ايوب بن موسى الحسيني القريمي ابو البقاء الحنفي، ت(١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.

-ل-

٣٩.اللباب في علوم الكتاب: ابو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت:٧٧٥ه) تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود واخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٩ه-١٩٩٨م.

٤٠.لباب النقول في اسباب النزول: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ضبطه وصححه: الاستاذ احمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٤١.لسان العرب: لابن منظور محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل الانصاري الافريقي، ت(٧١١هـ) الناشر: دار صادر بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٤٢.لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم: د. فضل حسن احمد عباس، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع- الاردن، ١٤٣٧ه-٢٠١٦م.

-م-

٤٣.المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصيف، د. عبد الفتاح اسماعيل جلبي، القاهرة - مصر، لجنة احياء التراث الاسلامي ١٤١٤ه-١٩٩٤م.

٤٤.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تأليف: ابي محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي (ت: ٥٤٢ه) تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن ابراهيم الانصاري، السيد عبد العال السيد ابراهيم ، محمد الشافعي الصادقي العناني، دار الخير ، الدوحة-

قطر، ط٢، ١٤٢٨ه- ٢٠٠٧م.

٤٥.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للفيومي ابو العباس احمد بن محمد بن علي الحموي(ت:٧٧٠ه) المكتبة العلمية-بيروت.

٤٦.محاسن التأويل: المؤلف محمد جمال الدين القاسمي، ت(١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، سنة النشر ١٣٧٦ - ١٩٥٧، رقم ط١.

٤٧.المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت:٢٨٥ه) تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت- لبنان ١٤١٣ه-٢٠١٠م.

٤٨.المفردات في غريب القرآن: تاليف: ابي القاسم الحسين بن عمر المعروف بالراغب الاصفهاني، (ت:٥٠٢ه) ضبط: هيثم صعيمي، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

٤٩.معالم التنزيل= (مختصر تفسير البغوي): عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض، ط١، ١٤١٦ه.

٥٠.معاني النحو: تاليف: د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة للنشر والطباعة، تسلسل التعضيد للسنة الدراسية ١٩٨٦-١٩٨٧م، رقم الايداع في المكتبة الوطنية ٨٠٣ لسنة ١٩٨٩م.

٥١.معاني القرآن: تأليف: ابي زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت: ٢٠٧ه) تحقيق: احمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٣، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

٥٢.معاني القرآن واعرابه: للزجاج ابراهيم بن السري بن سهل ابي اسحاق(ت:٣١١ه) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، خرج احاديثه الاستاذ علي جمال الدين محمد ،دار الحديث- القاهرة، شارع القائد امام، جامعة الازهر ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

٥٣.معجم القواعد العربية في النحو والصرف وذيل الاملاء: تأليف: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

٥٤.معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت:٣٩٥ه) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩ه-١٩٧٩م.

٥٥.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام ابو محمد عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن يوسف جمال الدين (ت:٧٦١ه) حققه وفصله وضبط غرائبه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة- العباسية.

-ن-

٥٦.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٥ه-١٩٩٥م.

٥٧.النكت والعيون: للماوردي علي بن محمد بن حبيب(ت:٤٥٠ه) تحقيق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

٥٨.الناسخ والمنسوخ: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ) تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح- الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.